تمثّلات الموروث الثقافي في الرواية الجزائرية المعاصرة "رواية أربعون عاما في انتظار إيزابيل" لسعيد خطيبي أنموذجا.

Cultural heritage representations in modern Algerian literature, using Saeed Khatibi's "Waiting Isabelle for Forty Years" as an example

ط/د إيمان دكدوك*
جامعة 8 ماي 1945 –قالمة- (الجزائر
dekdouk.imane@univ-guelma.dz

د. شوقي زقادة
جامعة 8 ماي 1945 –قالمة- (الجزائر)
zeggada.cheouki@univ-guelma.dz

مخبر الدراسات اللغوية والأدبية

تاريخ الإرسال: 2023/04/22	تاريخ التقييم: 2023/06/10	تاريخ القبول: 2023/06/23

الملخص:

يعدّ الموروث الثقافي روح الأمة وذاكرتها، به تفرض كيانها ووجودها، وهو المخزون الفكري والحضاري الذي تتفاخر به، ويحقق تميزها عن الأمم والمجتمعات الأخرى، بأشكاله المختلفة، فهو يعكس أخلاق الأمة وقيمها وعاداتها.، إذ يعيدنا إلى أزمان غابرة عبر تلك التمثلات، التي تقودنا إلى استكشاف المضمر الثقافي داخل بنية المجتمع، لقد عزمت الرواية الجزائرية المعاصرة استثمار المخزون الثقافي الشعبي للمجتمع الجزائري بمختلف أنواعه وأشكاله،سعيا منها لإعادة بعثه والحفاظ عليه، بوصفه مظهرا يبصم هوية المجتمع الجزائري، ذلك لأنّ الثقافة هي علة وجود الهوية، وهي من تصنعها، من هذا المنطلق تأتي أهمية هذه الدراسة، في محاولة لاستكشاف أبرز المظاهر التراثية الشعبية في النص الروائي الجزائري، وبيان مدى استخدام "سعيد خطيبي" لهذا المخزون في نص "أربعون عاما في انتظار إيزابيل."

الكلمات المفتاحية: الموروث الثقافي؛ التراث الشعبي؛ الموروث الثقافي المادي؛ الموروث الثقافي اللامادي.

Abstract:

A nation's cultural heritage is a treasure that it is proud of and uses to establish its identity and existence. As it brings us back to ancient times through those representations, cultural heritage helps nations to stand out from other cultures. It leads us to investigate cultural content within community structure and reflects their principles, values, and practices.The goal of contemporary Algerian literature is to invest in the diverse forms and varieties of Algerian society's popular culture in an effort to resuscitate and conserve it as a manifestation of Algerian society's identity, as culture both creates and justifies identity. Herein lies the significance of this study, which aims to investigate the most salient elements of popular heritage in the fictional work written in Algeria and to demonstrate how extensively Saeed Khatibi utilized this inventory in his work "Waiting Isabelle for Forty Years."

Keywords: cultural heritage; folklore; tangible cultural heritage; Intangible cultural heritage .

*المؤلف المراسل.

1.مقدمة:

ساهمت الرواية الجزائرية، منذ نشأتها بدور كبير في بناء صرح معرفي بالإنسان، وهويته وثقافته، فقد كانت وما تزال حقلا ثريا تنفجر فيه أسئلة الماضي والحاضر والمستقبل، ومصدرا يعج بشتى الصور والرموز الدلالية، المعبرة عن الخصوصية الثقافية والحضارية، الضاربة بجذورها في عمق التاريخ، ما جعل الاحتفاء بالذاكرة الشعبية ملمحا بارزا، وسم العديد من المتون الإبداعية الجزائرية، وطبعها بطابع خاص يتصل بقيم تأصيل الذات وتجذير كيانها. وقد كانت رواية **"أربعون عاما في انتظار إيزابيل" لسعيد خطيبي** إحدى أهم وأبرز النصوص، التي اشتغلت على فكرة استلهام التراث الشعبي، واستثماره بمختلف أشكاله، بوصفه مرجعية ثقافية تفتح أفق التأويل للمتلقي، وتعزز سبل الحفاظ عليه، وعرضه على الأجيال الحاضرة واللاحقة، لتستقي منه العبرة وتتطلع من خلاله إلى مستقبل صاعد وواعد.

وما يهمنا في هذه الدراسة، هو استكشاف مظاهر تمثّل الروائي **"سعيد خطيبي"** لمختلف الأشكال الثقافية في نصه الروائي، ومدى اهتمامه بهذا المخزون الثري. وقد قادنا ذلك إلى طرح مجموعة من الأسئلة :

- **ما مفهوم الموروث الثقافي؟ وما هي أشكاله؟**

- **كيف تفاعل الروائي سعيد خطيبي مع مختلف أشكال التراث الشعبي في روايته؟**

- **ما الغاية من استثمار هذا المعطى الثقافي؟ وكيف أسهم في إغناء وإثراء التجربة الروائية الجزائرية؟**

وللإجابة عن هذه الأسئلة، تقوم هذه الدراسة برصد تجليات مختلف مظاهر التراث الشعبي في نص **"أربعون عاما في انتظار إيزابيل"**، وفق آليات المقاربة الثقافية، التي تسعى إلى الكشف عن آفاق النص الروائي في رصده لمختلف المحمولات الثقافية الشعبية المتضمنة فيه، محاولة استقصاء أثر توظيفها، واستخلاص أثرها في تعميق التجارب الإبداعية، بوصفها فضاء معرفيا حاملا لقيم المجتمع ومعارفه. وعليه تنطلق هذه الورقة البحثية من مجموعة من الفرضيات التالية:

- الموروث الثقافي هو روح الأمة وكيانها.

- الرواية الجزائرية هي فضاء يحوي هذا الموروث الثقافي ويسعى للحفاظ عليه.

- يعد توظيف الموروث الثقافي ملمحا من ملامح التجديد في التجربة الإبداعية الجزائرية المعاصرة.

2.مفهوم الموروث الثقافي:

يتشكّل مصطلح الموروث الثقافي من شقّين؛ لفظ "موروث" المشتق من لفظ "تراث" والذي يعني "ما يرثه الابن عن أبيه من مال وحسب"[1]، ولفظ "الثقافي" المشتق من الثقافة والتي تعني "ذلك الكل المعقد أو المركب، الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والعادات والعرف وكافة المقدرات والأشياء الأخرى، التي تؤدى من جانب الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع"[2].

والموروث الثقافي مصطلح واسع يصعب تحديد مفهومه وعناصره ومكوناته بدقة، فهو الحصيلة الفكرية والاجتماعية والمادية التي تركها أسلافنا، والمتمثلة في مجمل الشواهد الروحية والمادية، التي تعكس أفكارهم ورقيهم، وهو الشاهد الحي على تاريخ الشعوب وحضارتها وخيالها وآمالها ومعاناتها، فعلى الرغم من اختلاف ثقافاتها إلا أنها تشترك في قاسم مشترك واحد هو أنه من عمل الإنسان، ومن إنتاج جميع الناس باختلاف مستوياتهم، إذ يجسد مثلهم وحضاراتهم وتطورهم عبر الزمن.

ويقصد به بوجه عام: تلك الأشكال والمظاهر الثقافية المادية والفكرية والاجتماعية، التي كانت سائدة في المجتمع في وقت ما، ثم ما طرأ على هذا المجتمع من تغير، لينتقل من أوضاع تتسم بالبساطة والتقليد، إلى أوضاع أخرى أكثر حداثة وتطورا، ولكنها(الأشكال الثقافية) بقيت مستمرة في ذلك المجتمع، متداولة بين أفراده[3]، وهذه الاستمرارية لعناصر الموروث الثقافي بين الأجيال "تحمل معها من التواصل عصارات فكر أجيال متعاقبة"[4].

إنه - بوجه أدق- "التعبير الخلاق الناتج عن وجود، وحياة شعب في الماضي، والماضي القريب والحاضر"[5]. وقد كان لمنظمة اليونيسكو الفضل في العناية بهذا المعطى الثقافي، إذ لم يعد مقتصرا على المعالم الأثرية التاريخية فحسب، وإنما تعداه ليشمل مختلف الأشكال الفنية، من عادات وتقاليد، ومعتقدات، ومختلف أشكال التعبير الحية، التي توارثتها الأجيال، وبناء على ذلك، يمكن تصنيف الموروث الثقافي إلى:

1.2 الموروث الثقافي المادي:

يعدّ التّراث الثقافي المادي منبعا فريدا من نوعه وغير قابل للتجديد، فهو مجمل "ما يتم توارثه عبر الأجيال من عادات وتقاليد ومبادئ وقيم، وما يتصل بالسلوك وطرق التعامل وتأدية الواجبات الاجتماعية، وأدب المأكل والمشرب والملبس وغيرهما، مما يتصل بأدق التفاصيل التي تميز كل أمة من الأمم الأخرى، ويتم اكتساب هذا النوع من الثقافة ومن المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان، فهي ثقافة مكتسبة عن طريق التقليد والمحاكاة ولا دخل للعقل فيها"[6].

2.2 الموروث الثقافي اللامادي:

يعرف الموروث الثقافي اللامادي بأنه ذلك التراث الذي يتجلى في "كافة المظاهر غير المادية وغير الملموسة لمختلف تشكّلات وتنويعات التراث الإنساني، بوصفه الثقافي الممارس الحي والمنتقل عبر الأجيال من خلال حاملي وممارسي عناصره الأساسية"[7]،ويشمل كلا من الفنون القولية (الشعر ، الأغاني، القصص، الألغاز، الأمثال...)، والفنون الحركية (الرقص، المسرح، الألعاب...)، والعادات والتقاليد والمعتقدات وغيرها من المكونات، التي تعكس ثقافة الشعوب وتشكل هوياتها الخاصة.

انفتحت الرواية الجزائرية المعاصرة على مختلف مشارب الموروث الثقافي، واستثمرت مختلف أشكاله، بغية الخروج بالنص السردي من النمطية إلى عوالم تجريبية، تفتح للمتلقي آفاقا جديدة للتأويل، وتعرفه أكثر على تراث وآثار أسلافه وأجداده.

وتمثل رواية **"أربعون عاما في انتظار إيزابيل"** نموذجا سرديّا، يجسد مسعى الكاتب في الاستفادة من التراث، و تبيان طرق التعامل معه، من حيث إنّ "ما يمكن أن نوظفه من تراثنا في حياتنا الفكرية الراهنة، ليس التراث كله بل ما تبقى منه فقط"[8]،وقد تجلى ذلك في المتن الروائي على النحو الآتي:

3.مظاهر حضور الموروث الثقافي الشعبي في الرواية:

استطاعت الرواية الجزائرية في السنوات الأخيرة أن "تستدرك نقصا كميا وقيميا ولغويا مهولا، وتجاوزت الرواية كل النقائص التي لحقت بها وهزت كيانها، بل أصبحت جزءا من الرواية العربية بامتياز، ... سواء من الناحية العددية أو البنيوية أو من حيث جرأة تجريب الأشكال السردية الجديدة، ومن ناحية المخيال القادم من بعيد، والذي يتداخل فيه الأيديولوجي والثقافي والحياتي، مما يؤهله للغنى وفرض الذات على النقاد"[9]، وكان الموروث الثقافي الشعبي أحد أشكال التجريب، التي استعان بها الروائي الجزائري للخروج بنصه، نحو آفاق جديدة تنفي عنه النمطية والجمود، وتحوّله إلى مظهر من مظاهر الحداثة، لما يمتلكه من طاقات جمالية وعناصر فنية، تعيدنا إلى أزمان مختلفة وتقودنا إلى استكشاف المضمر الثقافي داخل المجتمع.

إن المتفحص لنص **"أربعون عاما في انتظار إيزابيل"** يلفي ذلك الحضور القوي لمختلف أنماط الموروث الثقافي الشعبي للمجتمع البوسعادي الجزائري، والذي يؤكد ويلح على عراقة وأصالة هذا المجتمع، حيث تعددت وتنوعت مظاهر حضوره في هذا المتن الروائي، منها ما هو مادي، وما هو معنوي.

1.3 الملبس والمأكل الشعبي:

يعدّ اللباس الشعبي والأكل التقليدي من المكونات الثّقافية المادية للشعوب، نظرا لما تحتويه من أصالة وحضارة، إذ تعكس لنا عادات وتقاليد كل منطقة، كما تحمل مرجعيات ثقافية متعددة، تتجاوز وظيفتها الرئيسية، لتتحول إلى وسيلة ذات حمولة ثقافية، يقف عندها الباحثون على اختلاف تخصصاتهم، بوصفهما مرآة لأحوال المجتمع وأوضاعه.

والملاحظ في الرواية أن الروائي **سعيد خطيبي** اهتم في نصه بهذا الشكل الثقافي، بوصفه مظهرا يعكس ثقافة كل منطقة ويميزها عن الأخرى، ومن أبرز الألبسة والأكلات التي وظفها الروائي نذكر:

الملحفة: لباس تقليدي تختص به النساء، يتكون من قطعة من القماش المميز الخاص بها، يختلف لونها من منطقة إلى أخرى، وغالبا ما تكون باللون الأبيض، تلتف بها النساء عند خروجهن، إذ يمنحهن وقارا وحشمة، يقول الروائي على لسان بطل الرواية (جوزيف) واصفا (زوينة): "تأتي دائما إلى البيت مرتدية جلابة زرقاء، باهتة وطويلة لا تغيرها، وخمارا أسود وأبيض، يغطي شعرها، وفوقها تلبس ملحفة بيضاء تغطي كامل جسدها، لا شيء يظهر من مفاتنها ولا تضع ماكياجا على وجهها، هي تخجل منا أكثر مما نخجل منها..."[10]، ويقول واصفا (علجية): "تخرج علجية، مرتدية ملحفة بيضاء، وحذاء كعب عال إلى وجهة أجهلها"[11].

يحاول **سعيد خطيبي** من خلال توظيفه لهذا اللباس التقليدي أن يبرز لنا مظهرا من المظاهر الثقافية لمنطقة (بوسعادة) المتمثلة في لباس "الملحفة"، ويصور لنا مدى عفة ووقار نساء هذه المنطقة، اللاتي بقين ملتزمات ومحافظات على لباسهن المحتشم.

البرنس: لباس تقليدي جزائري، يرمز إلى العروبة والأصالة، وهو من الألبسة التي توارثتها الأجيال منذ القدم، اشتهرت به جل المناطق الجزائرية وخاصة منطقة "الجلفة"،

وهو في شكله العام "عبارة عن رداء ثقيل منسوج من الصوف أو الوبر، بدون أكمام مربوط في الرقبة وينسدل باتساع، وينتهي بشربات من الصوف أو الحرير وكانت أشهر الألوان المستعملة، هي اللون الأبيض واللون الأسود"[12]. ، وقد استثمر الروائي هذا اللباس في معرض حديثه عن البرد القارص، الذي يميز منطقة (عين الصفراء) عن كل المناطق الجزائرية الأخرى، إذ يقول على لسان بطل الرواية (جوزيف): " في المرة الوحيدة التي زرت فيها عين الصفراء، كان الفصل شتاء، ... كنت ليلا أغطي جسدي المرتعش بأربع بطانيات، وفي النهار أتسكع ببرنوس من وبر الماعز..."[13]، ويقول واصفا إيزابيل إيبرهارت: "أتخيل إيزابيل وهي تجلس القرفصاء قبالتي، ترتدي برنوسا أبيض، من وبر الماعز..."[14]. فالبرنوس هو لباس يقي الإنسان من البرد، ويمنحه وقارا وهيبة، ولا يقتصر لبسه على الرجال فقط، وإنما تلبسه النساء أيضا.

أمّا الطعام التقليدي فقد نال- هو الآخر- حظه في الحضور في هذا المتن الروائي، بوصفه إرثا جمعيا يعكس عادات وتقاليد الشعوب، إذ لم يعد مقتصرا على تلبية الحاجيات البيولوجية للإنسان فحسب، بل "إن كل خطوة يعالج بها الطعام، من بداية الإنتاج حتى الاستهلاك (والعمليات اللاحقة المرتبطة بالاستهلاك والمترتبة عليه)، تخضع لقوانين وعادات وتقاليد، وآداب وأعراف كلها موروثة اجتماعيا، يفهمها أبناء المجتمع الواحد ويتعلمونها من أجل تبادل المعاني، وتنظيم العلاقات الاجتماعية بينهم، وهم عن طريق مراعاة هذه القوانين والآداب والأعراف، وعن طريق التّلاعب بها وحتى كسرها والخروج عليها، يصوغون معاني ورسائل ويتبادلونها من خلال استعمال لغة الطعام الشعبي المحلي"[15].

يعدّ الطعام ملمحا ثقافيا يحتكم إلى أسس ثقافية، إذ يروي لنا بطل الرواية (جوزيف) أجمل اللحظات التي يعيشها بمدينة بوسعادة في شهر رمضان قائلا: "... أحتفل وقت الغروب، ساعة الإفطار بمأدبة الأكل، مع سليمان، أتلذذ بصحون الشربة والمرق والطاجين الحلو، بالفواكه المجففة..."[16].

وفي مقطع آخر يستحضر الروائي أشهر طبق جزائري، ألا وهو طبق "الكسكسي" والذي لا تكاد تخلو أي رواية جزائرية منه، حيث يرتبط بمناسبات خاصة. يقول الروائي في

معرض حديثه عن طقوس زيارة المقابر: "...وزوّار يترددون عليها أيام الأسبوع، يزداد عددهم صبيحة كل جمعة، بعضهم يأتي حاملا طبق الكسكسي، يوزع ملاعق منه على المارة، وعلى زوار المقابر، طلبا للدعاء لواحد من الموتى..."[17] . فالكسكسي تحول من كونه أكلة تقليدية شعبية إلى رمز للصدقة والبركة، إذ لازم طقوس زيارة المقابر في يوم الجمعة من كل أسبوع، للتبرك بالأولياء الصالحين والدعاء للأموات والترحم عليهم.

2.3 العادات والمعتقدات الشعبية:

تشكّل العادات والمعتقدات الشعبية دعامة أساسية لدى مجتمع معين، وأحد أبرز مركبات الثقافة، فهي بمثابة بطاقة تعريف لهوية المجتمعات، التي تتفرد بعاداتها وتقاليدها ومعتقداتها، وتتميز بها عن المجتمعات الأخرى. يرى عبد الملك مرتاض بأنها "من جملة العوامل التي تميز الشعوب بعضها عن بعض، وإن هذه العادات يقوى سلطانها في أنفس الناس داخل المجتمعات، حتى تصبح له قوة القاعدة المتبعة، وحكم القانون الكلي، فتراهم يحترمونها احترامهم للمبادئ الدينية أو أشد من ذلك أحيانا"[18]. وهي ذلك "السلوك المكتسب الذي يشترك فيه أفراد شعب معين... كما أنها ظاهرة اجتماعية تمثل أسلوبا اجتماعيا، بمعنى أنها لا يمكن أن تتكون وتُمارس إلا بالحياة في المجتمع والتفاعل مع أفراده وجماعاته"[19].

وتمثّل العادات والمعتقدات الشعبية الشق الأكثر ثراء في الموروث الشعبي نظرا إلى تنوعها، حيث تتداخل فيما بينها، فيبرز مع كل عادة معتقد شعبي، يظل خبيء الصدور يختمر فيها، ليتشكل في صور متباينة مبالغ فيها أو حقيقية، يلعب فيها الخيال الفردي دوره ليعطيها طابعا خاصا، وتعكس هذه العادات والمعتقدات مدى ارتباط الإنسان بتراثه المادي-الروحي، حيث يسعى دائما إلى محاولة بعثه من جديد، بإقامة الاحتفالات المعبّرة عن كل مناسبة، والتي تأخذ طابعا شعبيا "ومنحى فولكلوريا ينتهي عادة بانتهاء المناسبة الاحتفالية، إلّا أنّه يبقى راسخا في وعي أو لاوعي الجماعة، التي تتناقله جيلا عن جيل، وتشعر نحوه بقدر كبير من التقديس، ويرون أنه من الصعب بل من المستحيل العدول عنها"[20].

لقد استثمر **سعيد خطيبي** هذا العنصر التراثي في منجزه السردي، ليعبر به عن قضايا فكرية واجتماعية، وليضيء بعض الجوانب المظلمة في مجتمعه، بوصفه أهم رافد

يتكئ عليه الخطاب الروائي المعاصر، حيث نجده يستثمر طقوس وعادات أهل مدينة بوسعادة في زيارة المقابر والأضرحة، فيقول على لسان بطل روايته: "... وصارت لالة سعدية تزور قبر عبد الرحمان كل جمعة، تلبس ملحفة بيضاء، وتحمل بخورا تشعله على قبر والد ابنتها الوحيدة فاطمة..."[21]، ويقول في مقطع آخر: "توجد مقبرة السنة، التي تنزل إليها كل يوم اثنين، بعد صلاة الظهر، كتيبة من المخلصين، لتنظيفها، وتنقيتها من الفضلات والحشائش والأشواك، يدخلها الناس صامتين أو يتمتمون بأدعية، أبوابها الثلاثة لا تغلق، ويوم الجمعة تزدحم بنسوة يأتين، في الغالب، متلحفات الأبيض أو الأصفر الفاتح، للترحم على الأموات، ورش قبور أهلهم وأحبتهم بعطور محلية، رخيصة الثمن، بعضهن شاهدتهن وهن يلونن شواهد قبور بالحناء، أو يبخرن ما حول القبر، وبعضهن الآخر ينبشن خفية لدسّ أغراض حميمة أو قصاصات ورق كتب عليها أدعية أو كلام آخر..."[22]. وأمام هذا التفكير، يبدو أن الكثير من هذه العادات والسلوكيات هي وليدة الاعتقاد بالأولياء الصالحين والتعلق بمقاماتهم وأضرحتهم، فكان منها ما يمارس فرديا ومنها ما يمارس جماعيا، اعتقادا منهم بقيمة البركة التي يحظى بها المتوفى الذي ترك أثرا طيبا في نفوس أقربائه.

وإلى جانب المعتقدات الشعبية، تحضر المناسبات الشعبية في المتن الروائي، بوصفها ممارسات تشبع حاجات الفرد النفسية والاجتماعية، إذ تكفل له الاستمرار في التفاعل مع محيطه وبيئته، وتحقق له الاستقرار والتكامل الاجتماعي، ولعل أبرز مناسبة استثمرها الروائي في نصه هي "رأس السنة الأمازيغية"، التي تتميز بطقوس احتفالية تطبعها بدلالات رمزية، تعكس ارتباط الإنسان الأمازيغي بأرضه واحتفائه بهويته الممتدة عبر التاريخ، يقول بطل الرواية (جوزيف): " قبل أيام، أخبرتني بأنها ستحضر لنا طبق الشرشم، بالقمح الصلب والحمص والفول، بمناسبة رأس السنة الأمازيغية الجديدة"[23]. فطبق (الشرشم) هو رمز للتفاؤل والبركة والخير، كونه مصنوعا من القمح الصلب الذي يحصده الفلاحون كل سنة، فيتبركون به أملا منهم بحلول موسم فلاحي أفضل.

3.3 المأثورات القولية:

1.3.3 الأمثال الشعبية:

يعد المثل الشعبي من أكثر الأنواع الأدبية الشعبية انتشارا بين أفراد المجتمع، لقدرته على حفظ وترجمة أفكارهم وذهنياتهم، فهو خلاصة تجربة شعبية طويلة، وأسلوب حياة الشعب ومعتقداته ومعاييره الأخلاقية.

إن المثل قول مأثور يتضمن نصيحة شعبية، أو حقيقة عامة أو ملاحظة تجريبية، يصوغه شخص على درجة عالية من الحكمة والفصاحة، كما إنه يتميز بخصائص متعددة، منها الإيجاز وإصابة المعنى، "بحيث يدل قليل الكلام فيه على الكثير، فهو مكوّن من أقل قدر من الألفاظ، وأكبر قدر من الدلالة"[24]، بالإضافة إلى التشبيه والكناية...

وقد تفطن الروائيون والمبدعون "لأهمية هذا النوع الأدبي فضمنوه إبداعاتهم، وأدمجوه بجوار بنيات رواياتهم، وذلك للكشف عن سلوك الشخصيات، وعن انتمائهم الطبقي، ونزوعها الفكري في صورة مناجاة ومونولوج داخلي، أو في شكل حوار عادي مع نفسها أو مع الغير"[25].

و تأتي الأمثال الشعبية في رواية **"أربعون عاما في انتظار إيزابيل"** عبر محطات متفرقة لتطعم المتن الروائي، ولتختزل تجارب الشخصيات الروائية، وتكشف عن دواخلها وطرق تفكيرها، منها:

المثل	الصفحة	دلالة المثل
اللي ما هام ما عام، ما يعرف قداش نهار في العام	**35**	**التجارب الطويلة تكرّس المعرفة بالحياة، فلا يخبر الحياة إلا من حنّكته**
خذ الراي لي يبكيك، ولا تاخذ الراي لي يضحكك	**36**	**علينا أن نأخذ بالنصيحة الحسنة حتى وإن كانت مؤلمة ومبكية، لأنها تقودنا إلى طريق الفلاح والاستقرار**
ما يحس بالجمرة غير اللي عفس عليها	**37**	**لا يشعر بالألم إلا صاحبه**

واش يدير الميت في يد غساله	70	الإنسان المغلوب على أمره لا يجد بدا من قصد شخص لحل مشاكله
اللي فات مات	79- 156	لابد من عدم النبش في الماضي والتحسر على ما فات، وعلى الإنسان أخذ الدرس والعبرة
عاش ما كسب، مات ما خلى	103	بعض الناس يزهدون في الحياة، فتجدهم لا يملكون شيئا في حياتهم، ولا يتركون شيئا بعد مماتهم
دوام الحال من المحال	120	استحالة دوام الشيء على حاله الأصلي، لأنّ الحياة تمضي والأحوال تتبدل وتتغير
ما يبقى في الواد غير حجارو	139	لابد للإنسان أن يرجع إلى أصله وإن طال به الزمن، لأن الزيف لا يعمر طويلا
راسي وراسو في شاشية واحدة، موسى وحدة تذبحنا	144	الصداقة الحقيقية مبنية على الإخلاص والتّضحية

والملاحظ من خلال هذا الجدول، أنّ **سعيد خطيبي** وظف الأمثال الشعبية في نصه بصورة مكثفة، تعكس مدى تعلقه بهذا الموروث الثقافي، كما إن استثماره له، لم يكن من باب التزيين والتنميق اللفظي فحسب، وإنما لغايات أخرى تتمثل في إعطاء خلاصة لتجارب الحياة، التي يعيشها الفرد وأخذ العبرة منها، وكذا السعي إلى بعث التراث من جديد في قالب فني يعكس تجارب ومواقف الشخصيات الروائية، عبر مناجاتها وحواراتها المختلفة، والتي تعكس بدورها تجارب الفرد الجزائري في محيطه وعلاقاته بمن حوله.

2.3.3اللهجة العامية المحلية:

إنّ اللغة هي "أداة هذا الإنسان للتخاطب مع الآخرين، والتفاهم وتبادل الأفكار والآراء والمشاعر معهم، وطريقة لفهمهم وتحسس أذواقهم، وسبيله إلى معرفة مذاهبهم ووسائل التأثير فيهم وإيجاد العلاقات وبناء الروابط وتحقيق سبل التعاون والتكافل معهم"[26].

لقد شاع في الآونة الأخيرة استخدام الروائيين للهجة العامية بشكل واع ومقصود، وذلك لخدمة أغراض مختلفة، لعل أهمها سعيه إلى الحفاظ على موروثه الثقافي اللغوي من الاندثار، ومحاولة إيصال نصه إلى أكبر شريحة من القراء، بوصف الرواية ديوان العرب في العصر الحاضر، وهذا ما ذهب إليه محمد المنقري بقوله: إن "الرواية عالم يتوازى مع الحياة بكل تنوعها وأطيافها، وحراكها، وناسها، وأساليب تعبيراتهم، واللهجة الشعبية جزء أساس من اليوميات وعبرها تفيض الدلالات الأكثر ثراء وعمقا في نقل الواقع والتعبير عن إيقاعاته، ولذا نجد كثيرا من الأعمال العربية تميل إلى استخدام اللهجات الدارجة في ثنايا السرد، لتعميق الصوت والصورة بكل أبعادها، ليعيش القارئ في عمق الشارع وضمن تفاصيل الصراع وتطوراته."[27]

إنّ الملاحظ لنص **"أربعون عاما في انتظار إيزابيل"** يجد أنّ كاتبها ابتعد في أحايين كثيرة، عن اللغة الفصحى في سرد أحداث روايته، ولجأ إلى استخدام اللغة العامية التي يعرفها جميع أفراد مجتمعه، فكسر بذلك رتابة السرد، وطعّم حوار الشخصيات بألفاظ وعبارات عديدة هي من صميم المجتمع، ومن أمثلة ذلك ما جاء على لسان المؤذن حينما حملوا إليه ذلك الطفل الرضيع، الذي وجدوه مرميا بين القبور:

"الله أكبر ! الله أكبر ! يا ناس الخير، رانا لقينا يشير (طفل) صغير في جبانة النصارى، أرواحو شوفوه وقولولنا شكون (من هم) والديه !"[28].

إن توظيف الروائي للهجة العامية بنبرتها الشعبية هو انعكاس للمستوى الثقافي للشخصية الروائية، وكشف عن الواقع الاجتماعي الذي استمد منه لغته الروائية. إذ ترى

نبيلة إبراهيم أن "القاص (الروائي) قد يأتي بين الحين والآخر بلغة مسلوبة القوة، لغة بسيطة بل ساذجة لكن هذه اللغة التي يأتي بها على سبيل المفارقة تزيد من تعقيد العملية اللغوية..."[29].

كما وظف الروائي -أيضا- في مقطع آخر من الرواية حوارا بسيطا بين الفتاة (مليكة) وجارها (الحاج جوزيف):

"- واش راك عمي الحاج؟

- بخير يا بنتي !

- واش راه عمي سليمان؟

- لابأس عليه

- سلمي على باباك بنتي !

- يبلغ نشا الله... تهلى في روحك الحاج ! باي.. باي !"[30].

ونلفي في النص أيضا حوارات أخرى، هي بمثابة خليط هجين بين الفصحى والعامية، ومثال ذلك:

" تفضل يا شيخنا. هذه ثلاث قنينات زيت أرسلها لك سليمان. اشتراها من بيت آزواو، الكهل الأمازيغي، كما تعرف هو يأتي بالزيت من معصرة شقيق له يسكن في بجاية.

تسلم لمنور هدية سليمان له مبتسما، كما لو أنه كان ينتظرها، ولم يعلق. وواصلت:

- الحال في البلاد يخوف. واش رأيك يا شيخ؟

- ماذا أقول لك يا حاج ! البلاد تمشي كشاة عمياء"[31].

إن استخدام الروائي لخاصية التهجين، هو نوع من التجريب وثورة على الشكل القديم، إذ أصبحت اللغات المختلفة تتحكم في كيفية رواية الأحداث وصوغها، والتي تمثل "الطريقة التي يتلفظ بها المرء بمفردات لغة وعباراتها، وطريقة إخراج الأصوات عند النطق بها، وهي طريقة تختلف باختلاف المناطق الجغرافية حتى ضمن بلد واحد"[32]، وقد أشار ميخائيل باختين إلى أن الروائي يقوم بـ "مزج لغتين اجتماعيتين داخل ملفوظ واحد،....

وهـذا المـزيج هـو طريقـة أدبيـة قصـدية (بدقـة أكثر ،نسـق مـن الطرائـق)، لكـن التهجـين اللاإرادي، اللاواعي، هو إحدى الصيغ الهامة للوجود التاريخي ولصيرورة اللغات"[33].

لقـد جـاءت لغـة الروايـة هجينـة، تترابط فيها كل العناصـر الداخليـة والخارجيـة، مشـكلة علاقـات حواريـة تقربهـا أكثر من جمهـور القـراء، "فالروايـة المتعـددة الأصـوات ذات طابع حواري على نطاق واسع، وتوجد دائما علاقات حوارية بين عناصر بنيتها"[34].

خاتمة:

نخلـص في نهايـة هـذه الورقـة البحثيـة إلى جملـة مـن النتـائج، نلخصـها في النقـاط الآتية:

1- شـكّل المـوروث الثقـافي الشـعبي مرجعيـة أساسـية لكتـاب الروايـة الجزائريـة في تشـييد معمـارهم النصـي، مـن خـلال اسـتثمارهم لمختلـف عناصـره ومكوناتـه المادية والمعنوية.
2- إنّ علاقـة الروائي بـالتراث علاقـة وثيقـة، فهـو ينظـر إلى التراث بصـفته مصـدر إلهام لا غنى عنه، كما إن هذه العلاقة لم تكن قائمة على التقليد والمحاكاة، وإنمـا كانـت قائمـة على التفاعـل العميـق معـه، وتوظيفـه فنيـا للتعبيـر عـن تطلعاته وآماله المستقبلية.
3- مكّن حضـور التراث الشـعبي في النص الروائي من الغـوص في أعماق المجتمع الجزائري، والتعرف على مجمل العادات والتقاليد والأعراف التي تعكس هويته وثقافته.
4- كان الطعام واللباس التقليدي -ولا يزالان-أحد الرموز التراثية الأصيلة، وسمة هامة من سمات هوية المجتمع الثقافية والفولكلورية، التي تعكس الثراء الثقافي والاجتماعي والنفسي للمجتمعات الضاربة بجذورها في عمق التاريخ.
5- إنّ تنويع الروائي في استخدام اللهجة العامية والفصحى في النص، أضفى عليه ملمحا تجريبيا، إذ مكنه من نقل العلاقات الاجتماعية من الواقع إلى مستوى النص التخييلي.

6- استطاع سعيد خطيبي أن يبين أن الموروث الثقافي، القابع في ذاكرة كل فرد من أفراد المجتمع، قادر على منح الرواية نفسا جديدا، وبإمكانه التعبير عن القضايا الجديدة التي يعيشها المجتمع الراهن

الهوامش:

[1]- ابن منظور، (1994)، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1،ج2،مادة (ورث)،ص227.

[2]- جلبي علي عبد الرزاق وآخرون، (2016)، علم الاجتماع الثقافي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص21.

[3]- ينظر: هنشيري إيمان،(2017)، الموروث الثقافي الجزائري، الواقع والآفاق، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، ع17، ص99.

[4]- العنتيل فوزي، الفولكلور ما هو؟ دراسة في التراث الشعبي، دار المعارف، مصر، ص23.

[5]- يونسكو، إيكروم، (2003)، تعريف الشباب بحماية وإدارة مواقع التراث، دليل عملي لمعلمي المدارس الثانوية في المنطقة العربية، طباعة مكتب اليونسكو، عمان، ص13.

[6]- معيكل أسماء أحمد، (2011)، الأصالة والتغريب في الرواية العربية، رواية حيدر حيدر نموذجا، دراسة تطبيقية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، ص59.

[7]- معلا طلال، (2017)، التراث الثقافي غير المادي، تراث الشعوب الحي، مركز دمشق للأبحاث والدراسات، سلسلة أوراق دمشق، ع4، ص02.

[8]- الجابري محمد عابد، (1993)، نحن والتراث، قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط6، ص47.

[9]- الأعرج واسيني، (2007)، مجمع النصوص الغائبة، انطولوجيا الرواية الجزائرية التأسيسية، ج 1 محنة التأسيس، دار الفضاء الحر، الجزائر، (دط)، ص6.

[10]- خطيبي سعيد، (2016)، أربعون عاما في انتظار إيزابيل، منشورات الاختلاف، الجزائر، ص38-39.

[11]- الرواية، ص75.

[12]- بوتقرابت رشيد، (2007)، ظاهرة الاهتمام باللباس عند الشباب الجامعي، دراسة ميدانية لطلبة جامعة الجزائر –ملحقة بوزريعة-، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، ص70.

[13]- الرواية، ص27.

[14]- الرواية، ص31.

[15]- كنعانة شريف، (2011)، دراسات في الثقافة، حققه ونقحه وأعده للنشر مصلح كنعانة، مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، رام الله فلسطين، ص203.

[16]- الرواية، ص 128.

[17]- الرواية، ص29.

[18]- مرتاض عبدالمالك، (1972)، أصالة الشخصية الجزائرية، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، العدد8، جوان، ص214.

[19]- مصطفى فاروق أحمد و عثمان ميرفت العشماوي، (2011)، دراسات في التراث الشعبي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د ط، ص32.

[20]- عطية عاطف، (1992)، المجتمع، الدين والتقاليد، بحث في إشكالية العلاقة بين الثقافة والدين والسياسة، جروس برس، لبنان، ط1،ص28.

[21]- الرواية، ص 44.

22- الرواية، ص57.

[23]- الرواية، ص39.

[24]- بدير حلمي، (2002)، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة، الإسكندرية، ص32.

[25]- سلام سعيد، (2010)،التناص التراثي، الرواية الجزائرية أنموذجا، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن،ص296.

[26]- المعتوق أحمد محمد، (1996)، الحصيلة اللغوية، أهميتها، مصادرها، وسائل تنميتها، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص31.

[27]- المنقري محمد، (2010)، بين العامية والفصحى يتجدد الجدال، مجلة عربيات الدولية، 25 مارس 2010، https://www.arabiyat.com/content/cultureissues/824.html

[28]- الرواية، ص55.

[29]-إبراهيم نبيلة، (1995)، فن القص في النظرية والتطبيق، سلسلة الدراسات النقدية، دار غريب للطباعة، القاهرة، دط، ص181.

[30]- الرواية، ص40.

[31]- الرواية، ص 69.

[32]- عبد النور جبور، (1979)، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، ص229.

[33]- باختين ميخائيل، (1987)، الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1،ص120.

[34]- باختين ميخائيل، (1986)، شعرية دوستويفسكي، ترجمة: جميل نصيف التكريتي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، ص 59.

قائمة المراجع:

1- خطيبي سعيد، (2016)، أربعون عاما في انتظار إيزابيل، منشورات الاختلاف، الجزائر.

2- ابن منظور، (1994)، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.

3- جلبي علي عبدالرزاق وآخرون، (2016)، علم الاجتماع الثقافي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.

4- العنتيل فوزي، الفولكلور ما هو؟ دراسة في التراث الشعبي، دار المعارف، مصر.
5- بدير حلمي، (2002)، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة، الإسكندرية.
6- معيكل أسماء أحمد، (2011)، الأصالة والتغريب في الرواية العربية، رواية حيدر حيدر نموذجا، دراسة تطبيقية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1.
7- الجابري محمد عابد، (1993)، نحن والتراث، قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط6.
8- الأعرج واسيني، (2007)، مجمع النصوص الغائبة، أنطولوجيا الرواية الجزائرية التأسيسية، ج1 محنة التأسيس، دار الفضاء الحر، الجزائر، (دط).
9- كنعانة شريف، (2011)، دراسات في الثقافة والتراث والهوية، حققه ونقحه وأعده للنشر مصلح كنعانة، مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، رام الله فلسطين.
10- مرتاض عبد المالك، (1972)، أصالة الشخصية الجزائرية، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، العدد8، جوان.
11- مصطفى فاروق أحمد وعثمان مرفت العشماوي، (2011)، دراسات في التراث الشعبي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، دط .
12- عطية عاطف، (1992)، المجتمع، الدين والتقاليد، بحث في إشكالية العلاقة بين الثقافة والدين والسياسة، جروس برس، لبنان، ط1.
13- سلام سعيد، (2010)،التناص التراثي، الرواية الجزائرية أنموذجا، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن.
14- إبراهيم نبيلة، (1995)، فن القص في النظرية والتطبيق، سلسلة الدراسات النقدية، دار غريب للطباعة، القاهرة، دط.
15- عبد النور جبور، (1979)، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1.
16- باختين ميخائيل، (1987)، الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1.
17- باختين ميخائيل، (1986)، شعرية دوستويفسكي، ترجمة: جميل نصيف التكريتي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1.
18- يونيسكو، إيكروم، (2003)، تعريف الشباب بحماية وإدارة مواقع التراث، دليل عملي لمعلمي المدارس الثانوية في المنطقة العربية، طباعة مكتب اليونيسكو، عمان.

الأطروحات:

1- بوتقرابت رشيد، (2007)، ظاهرة الاهتمام باللباس عند الشباب الجامعي، دراسة ميدانية لطلبة جامعة الجزائر –ملحفة بوزريعة-، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر.

المقالات:

1- معلا طلال، (2017)، التراث الثقافي غير المادي، تراث الشعوب الحي، مركز دمشق للأبحاث والدراسات، سلسلة أوراق دمشق، ع4.
2- المعتوق أحمد محمد، (1996)، الحصيلة اللغوية، أهميتها، مصادرها، وسائل تنميتها، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
3- هنشيري إيمان،(2017)، الموروث الثقافي الجزائري، الواقع والآفاق، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، ع17.

مواقع الأنترنيت:

1- المنقري محمد، (2010)، بين العامية والفصحى يتجدد الجدال، مجلة عربيات الدولية، 25 مارس 2010، **https://www.arabiyat.com/content/cultureissues/824.html**